عجز التحليل السياسي في مواجهة النزاعات المعاصرة:

بين الإدراك وخسائر الدماء

د. محمد محي الجنابي

مدير تحرير مجلة قضايا سياسية/ جامعة النهرين

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

Enki Foundation for Studies and Research

منذ البداية، ومع متابعتنا الدقيقة لتطورات الصراع بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من جهة، والجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة أخرى، لم يكن الانسحاب من التحليل ناتجاً عن قصور في الرصد أو ضعفٍ في المتابعة، بقدر ما كان موقفاً حذراً يتسم بالوعي والإدراك لطبيعة هذا الصراع المركب، فالأحداث لم تقتصر على ميادين القتال التقليدية، بل امتدت إلى فضاء الإدراك، حيث تصنع الروايات وتعاد صياغة الوقائع بما يخدم مصالح الفاعلين، مما استدعى تبني موقفٍ متأنٍ في قراءة المعطيات والتحقق من مصادرها، قبل الانجرار وراء الانطباعات السريعة أو الانفعال المباشر، وهذا الموقف يعكس فهماً بأن التحليل السياسي لم يعد مجرد تفسير للأحداث، بل أصبح أداةً لتثبيت وعي المجتمع، وفهم ديناميات الصراع المعقدة التي تمتد بين القوة العسكرية والإعلام والسيطرة على الفضاء المعرفي.

وفي هذا السياق، لم يعد الفيديو أو الصورة دليلاً كافياً على الحقيقة، نتيجة لما أفرزته تقنيات الذكاء الاصطناعي من واقعٍ جديد، بات فيه التزييف عالي الدقة جزءاً أصيلاً من أدوات الصراع، مما خلق ما يمكن تسميته «حرب الإدراك»، التي يكون بموجبها العقل الإنساني هدفاً مباشراً قبل الأرض

والموارد، وقد أسهم ذلك في إرباك المتلقي ودفعه نحو تصديق ما ينسجم مع ميوله العاطفية أو قناعاته المسبقة، التي تتقاطع فيه العوامل النفسية مع الاستراتيجيات الإعلامية لتنتج حالةً من «الواقع المُعاد تشكيله»، تختلط فيه الحقيقة بالوهم، ويغدو الإدراك ذاته ساحةً للصراع، لا تقل أهمية عن ساحات المواجهة العسكرية التقليدية.

وهنا تتضح وظيفة ما يمكن تسميته بـ «الهجمات المعرفية»، التي تهدف إلى إضعاف القدرة على التحقق والمساءلة، وإجبار المجتمع على تقبل سرديات جاهزة تُعيد تشكيل الفهم الجماعي للأحداث.

ومن ثمّ، فإن الانجرار وراء هذا السيل من المحتوى غير الموثوق لا يقتصر أثره على تضليل الرأي العام، بل يمتد ليؤثر في مواقف المجتمعات وسلوكها، بما قد يسهم في تأجيج النزاعات وإطالة أمدها. فالحروب التي تُدار بالمصالح والقوة، تُغذّى أيضاً ببيئات معرفية مشوشة، يُعاد فيها إنتاج القناعات وتوجيهها، بما يخدم استراتيجيات الفاعلين الدوليين والإقليميين على حد سواء، وهذا يشمل تهميش الفهم النقدي، واستغلال الانقسامات الاجتماعية والطائفية والسياسية، ما يجعل المجتمعات أكثر هشاشة أمام أي تدخل خارجي أو تصعيد محتمل.

الانجرار وراء هذا السيل من المحتوى غير الموثوق لا يقتصر أثره على تضليل الرأي العام، بل يمتد ليؤثر في مواقف المجتمعات وسلوكها، بما قد يسهم في تأجيج النزاعات وإطالة أمدها.

وعلى مستوى العراق، تكتسب هذه الإشكالية أبعاداً أكثر حساسية وخطورة، إذ تحوّلت البلاد إلى ساحةٍ غير مباشرة لتقاطع المصالح وتصفية الحسابات، في ظل موقعها الجيوسياسي وتعقيد بيئتها الداخلية، ولم تكن الخسائر الناجمة عن ذلك مجرد أرقامٍ تُدرج في تقارير أو تُستثمر في تحليلات، بل كانت دماءً تُراق على أرضه، وأرواحاً تُفقد ، حتى غدا القلب مكلوماً

بدماء شهدائه، مثقلاً بحكايات الفقد التي لا تنتهي، بينما يظل المجتمع يعيش بين حالة من الخوف وعدم اليقين، يوازيها شعور بالاغتراب عن الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعايشه.

وفي الحقيقة، إن الخسائر البشرية، بما في ذلك دماء العراقيين، لا يمكن فهمها بمعزل عن هذا البعد الإدراكي للصراع، التي لم تنشأ فقط عبر المواجهات العسكرية المباشرة، بل تتغذى أيضاً من حالة التآكل التدريجي في الوعي النقدي، وتحول الإنسان إلى متلقٍ داخل سردياتٍ كبرى تتجاوز قدرته على التحقق والمساءلة، وهنا تصبح الحرب النفسية أداة غير مرئية لإدامة الصراع، لا تقل فاعلية عن الأدوات العسكرية التقليدية، بل يمكن القول إنها أكثر استدامة تأثيراً، لأنها تغير طريقة التفكير والسلوك على المدى الطويل، وتخلق بيئة تضعف قدرات المجتمع على المقاومة أو التماسك أمام أي تهديد مستقبلي.

ومن هنا، فإن ما قد يبدو عجزاً في التحليل السياسي لا يعكس بالضرورة ضعفاً معرفياً، بقدر ما يجسد مأزقاً إدراكياً تفرضه بيئة مشبعة بالتزييف والتضليل، تتكاثر فيها الروايات وتتناقض المعطيات، بما يحدّ من القدرة على إنتاج قراءةٍ رصينة ومتوازنة. فالصمت الحذر، في ظل هذا التشويش المعلوماتي، قد يكون في ذاته موقفاً معرفياً مسؤولاً، يرفض الانجرار وراء سرديات غير متحققة أو تحليلات متسرعة. غير أن خطورة هذا المأزق لا تتوقف عند حدود المعرفة، بل تمتد لتلامس الواقع المادي، حيث تُدفع أثمانه دماً، ففي ظل هذا التداخل بين عجز الإدراك وإراقة الدماء، تتجسد إحدى أبرز إشكاليات النزاعات المعاصرة، إذ لا تكون الحقيقة وحدها ضحية الحرب، بل الإنسان أيضاً.

وعليه، فإن استعادة التوازن في مثل هذه البيئات تقتضي إعادة الاعتبار للتحليل الرصين، القائم على التحقق

من المصادر، وفهم السياقات، والتمييز بين الواقع وتمثلاته، كما تتطلب تعزيز التعليم النقدي، والوعي الإعلامي، وقدرات المجتمع على التمييز بين الأخبار الموثوقة والمضللة. فالحفاظ على الوعي لا يقل أهمية عن الحفاظ على الأرض، بل يشكل في كثيرٍ من الأحيان خط الدفاع الأول في مواجهة الحروب المركبة التي تستهدف الإنسان في إدراكه قبل أن تستهدفه في وجوده، ولا سيما في العراق، الذي دفع ولا يزال يدفع أثماناً بشريةً باهظة نتيجة تداخل الصراعات على أرضه، بسبب التعقيدات السياسية والاجتماعية وتداخل النفوذ الخارجي مع الهواجس الداخلية، مما يجعل تعزيز الوعي الوطني والقدرة على التحقق عنصراً محورياً لحماية المجتمع والدولة، فالأمن لم يعد يقتصر على السيطرة على الأرض وحدودها، بل أصبح يشمل التحصين المعرفي والفكري، لضمان قدرة المجتمع على التعامل مع

المعلومات وفهم سياقاتها واتخاذ القرارات السياسية الواعية، بما يحفظ سيادته واستقراره على المدى الطويل.

ولذلك، فإن مواجهة هذه التحديات تتطلب تطوير أدوات التحليل السياسي والمعرفي لتصبح أكثر ديناميكية وشمولاً، بحيث تشمل:

- تعزيز الوعي الإعلامي والسياسي بين الأفراد، ليصبحوا قادرين على التحقق من المعلومات وفحص مصادرها قبل تبني أي سردية.
- إدماج المهارات النقدية والتحليلية في التعليم والإعلام، لبناء مجتمع قادر على مواجهة التضليل والفهم السطحي للأحداث.
- استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي نفسها للكشف عن التزييف والمعلومات المضللة، وتحليل أنماط انتشارها وتأثيرها على الرأي العام.
- تعزيز المرونة المجتمعية والسياسية، بحيث تكون المؤسسات والمجتمعات قادرة على التعامل مع الصدمات المعرفية دون الانجرار وراء الانقسام أو اليأس.